

تجربة حلب في إحياء المدينة القديمة "المشروع الرائد" لإعادة إحياء منطقة باب قنسرين التاريخية مقترح استراتيجية لإعادة إعمارها بعد الأزمة

د. هلا أحمد أصلان⁽¹⁾

الملخص

يُعدّ المشروع الرائد لإعادة إحياء منطقة باب قنسرين في حلب القديمة من أبرز المشاريع السورية للحفاظ على التراث المعماري والعمراني في المدن التاريخية قبل سنة 2011، من خلال إعداد مخطط ارتقاء ونظام عمراني لتوصيف الفعاليات وتثبيتها ومعالجة مشكلات الترميم والبناء وحركة المرور، وتحديث البنى التحتية والخدمات والفعاليات الاقتصادية وتحديد استعمالات الأراضي. تميز المشروع بالاستدامة من خلال سياسة التعامل ضمن توجه الحفاظ الحضري الشامل، تضمن العمل فيه: تنفيذ ترميم نموذجي لمنطقة ذات طابع تجاري وسكني. عمل المشروع الرائد مع السكان بهدف رفع مستوى البيئة السكنية في الحي لضمان استمرارية الفعالية السكنية فيه، ووقف التدهور الاجتماعي وتلف النسيج التاريخي من خلال التدريب المهني، والخدمات الاجتماعية، وبرامج التوعية المتنوعة. وتفعيل الاقتصاد العمراني (الاعتمادات المالية: السكنية، المشاريع الصغيرة والكبيرة، والقروض طويلة الأمد). تناول البحث النتائج التنموية للمشروع الرائد، وتحديد مدى الضرر وتأثير النزاع المسلح في المحور المدروس، وأسس إعادة الإعمار كتجربة قابلة للتعميم على المناطق التاريخية السورية كلّها.

الكلمات المفتاحية: حلب القديمة، المشروع الرائد في حلب، باب قنسرين، إعمار المدن التاريخية السورية.

⁽¹⁾ كلية الهندسة المعمارية، جامعة تشرين، سورية.

Aleppo experience in the rehabilitation of the old city " Pilot Project of the historical Bab Qinnasrin" Proposed strategy for post-crisis reconstruction

Dr. Hala Asslan ⁽¹⁾

ABSTRACT

The *Pilot Project* to rehabilitate Bab Qinnasrin area in ancient Aleppo is considered as a prominent Syrian project of safeguarding the architectural and urban heritage in historical cities till 2011, through the preparation of a development plan and an urban system to characterize and set the activities, and to repair the problems of rehabilitation, construction and traffic, also to modernize the infrastructures, services, economic activities and determine the use of land. The project was marked by sustainability by a policy of maintaining the overall urban. The work in the project included: a typical restoration of an area of commercial and residential character.

The research discusses the development results of the *Pilot Project*, and study the impact & extent of the damage caused by the armed conflict on the studied area. finally, there will be a suggestion of principles of the reconstruction as a model could be generalized for all other Syrian historical areas.

Key Words: Old Aleppo, The pilot project of Aleppo, Bab Quinssrin, The reconstruction of the Syrian cities.

⁽¹⁾ Faculty of Architecture, Tishreen University, Syria.

مقدمة:

أساسي للخطوات المقترحة اتباعها لحماية وإعادة إعمار ما هُدمَ في أثناء النزاع المسلح الذي كانت منطقة قنسرين ضمن مدينة حلب القديمة مسرحاً لأحداثه، ووضع مقترح لاستراتيجية شاملة تعتمد خطة لإعادة تأهيل التراث المعماري حسب الأولويات، من حماية وصيانة وترميم وإعادة تأهيل وإعادة إنشاء وبناء.

تتجلى فكرة البحث في وضع إطارٍ نظري لمبادرةٍ تطرح فكراً وحلاً لإتقاد منطقة باب قنسرين في مدينة حلب التاريخية ضمن الظروف والمعطيات المتوافرة، وإعادة الاعتبار لنسيجها العمراني والمعماري والاجتماعي والثقافي، ويسهم هذا المشروع في بعث الأمل في إعادة الإعمار وإحياء التراث الثقافي في حلب التاريخية ضمن خصوصيتها التقليدية.

تتأتى أهمية البحث من كونه يطرح استراتيجية شاملة لإعادة إعمار المدن التاريخية السورية بعد انتهاء الأزمة، اعتماداً على الكفاءات المحلية الحرفية منها والهندسية وتأكيد دور المعمار الوطني المتأثر ببيئته المحلية.

أولاً: المشروع الرائد في حلب القديمة:

أسس مشروع إحياء مدينة حلب القديمة عام 1992، تضافرت الجهود وتمّ التعاون منذ عام 1994م بين مجلس مدينة حلب- مديرية المدينة القديمة والوكالة الألمانية للتعاون التقني (GTZ) سابقاً، لحماية الإرث الثقافي والعمراني في حلب القديمة وتطويرها، كانت الفكرة الأساسية للمشروع الرائد تهدف إلى الحفاظ على تفرد النسيج التاريخي وإيقاف التخريب في مناطقها السكنية عبر تنشيط التطور الاقتصادي والاجتماعي وتحسين الظروف المعيشية للسكان [2].

يتوضع باب قنسرين في الجزء الجنوبي من سور حلب (الشكل 1)، يشكل الحي الممتد من الباب التاريخي إلى منطقة الجولم الكبرى باتجاه أسواق المدينة والجامع الأموي محوراً رئيساً يُفضي إلى الأبنية العامة والمنازل السكنية، وتحتوي على كثير من المعالم التاريخية (الشكل 2) التي

مدينة حلب القديمة على لائحة التراث العالمي لليونسكو منذ عام 1986م، لما تمتاز به من أوابد أثرية متعددة ومتنوعة الوظيفة ولنسيجها العمراني المتكامل الممتد على مساحة تُقارب 400 هكتار [1]، إلا أنها كانت مهددة بتدهور بنيتها الفيزيائية وبالانهيار الاقتصادي في القرن العشرين، إذ شهدت تركيز المخططات التنظيمية على جعل مركز المدينة قابلاً لحركة المرور الآلي مع إهمال قيمته التراثية الثقافية؛ من أبرز هذه الممارسات: شق شوارع عريضة مزقت النسيج العمراني التاريخي، وتشبيد مبانٍ عالية على امتدادها، تقسيم الأحياء وهدمها وازدياد التلوث والمضاربة على العقارات، فضلاً عن انخفاض مستوى الحياة، وتغير متطلباتها، وهجرة سكانها الأصليين ذوي السوية العلمية والثقافية والمادية العالية، مما انعكس سلباً على استخدام الأبنية التاريخية في غير وظيفتها الأساسية: كمستودعات وورش، وتأجيرها للمهاجرين من الريف الذين لم يتمكنوا ولم يهتموا بصيانتها والحفاظ عليها، أي أنّ التنوع الاجتماعي الثقافي الذي كان يدعم في الماضي عملية الإحياء الذاتي عبر القرون بات مُعرضاً للخطر.

تضمن العمل أربع مراحل رئيسة اعتمدت مبدأ التخطيط من "القمة إلى القاعدة" انطلاقاً من المخطط التنظيمي إلى مخطط الارتقاء ومخططات مناطق العمل ثمّ مشاريع العمل؛ ومبدأ التنفيذ من "القاعدة إلى القمة"، من خلال صندوق الإحياء وصندوق البنية التحتية، ثمّ صندوق الطوارئ والصندوق الدولي انتهاءً بالميزانية.

هدف البحث

هدف البحث إلى إلقاء الضوء على تجربة حلب في الحفاظ على المدينة القديمة، من خلال دراسة منطقة "محور باب قنسرين" الذي أُجريت فيه أعمال ترميم وإعادة تأهيل وإعادة توظيف ضمن خطة عمل المشروع التنموي الرائد (Pilot Project)، أي رصد واقع المشروع الرائد قبل الأزمة السورية مباشرة وخلالها. يتعرض البحث بشكلٍ

1- إشكاليات المشروع الرائد

اعتماداً على تقارير مديرية المدينة القديمة ومنظمة الـ GIZ في حلب، واجه المشروع الرائد العديد من التحديات والمعوقات التي وجب إيجاد حلول مناسبة لها [3]، من أبرز هذه الإشكاليات:

- أ- النقص في المادة التوثيقية والدراسات المعمارية.
- ب- ضعف السوية العلمية والثقافية بالمجمل لقاطني المنطقة مما أسهم في فقد الإدراك بالقيم التاريخية والرمزية للمكان.
- ت- ضعف القاعدة الاقتصادية في المناطق القديمة، ونزوح الفئات ذات المستوى الاقتصادي المرتفع إلى أطراف المدن ودخول العمالة الفقيرة، وزيادة الكثافة السكانية وضعف القدرة على الصيانة.
- ث- تدهور مستويات البيئة العمرانية إذ إن 30% من البيوت السكنية والأبنية العامة في حالة إنشائية سيئة، ذات سقوف وجدران متصدعة، وتعاني أساساتها من حمولات زائدة.
- استخدام المنازل التقليدية ذات الأفنية لأغراض اقتصادية كمخازن ومستودعات (الشكل 3)، مما كان له آثار سلبية ومساوئ على بنية المنطقة ونسيجها العمراني والمجتمعي.



الشكل (3) الإساءة للمنازل التقليدية باستخدامها لأغراض اقتصادية.

- ج- اهتراء شبكة البنية التحتية، إذ أنّ تسرب المياه من الأنابيب المتآكلة ألحق الضرر بأساسات الأبنية، وقد أدى ذلك إلى تلوث المياه الجوفية.

تعود لعصور إسلامية مختلفة فمنها الزنكي، الأيوبي، المملوكي، العثماني...، من أبرزها: المدرسة الأُسدية الجوانية، وجامع الطرسوسي، وجامع الكريمة، والبيمارستان الأرغوني، ومدرسة الشيباني، وحمام الجوهرية، وقيسارية ميرو، وخان القاضي. تتوزع على امتداد القصبة ثلاثة سبل ماء، فضلاً عن وجود سيباطين.



الشكل (1) صورة قديمة لباب قنسرين الأثري، (أرشيف جمعية العاديات - فرع حلب).

طُبِق المشروع الرائد (Pilot Project) في هذه المنطقة التي تبلغ مساحتها 6.5 هكتاراً، وتشتمل على 130 داراً سكنياً تسكنها نحو 200 أسرة، وهدف إلى اتخاذ مزيج من الإجراءات متكيفة مع تعقيدات البنية العمرانية والاجتماعية فيها.



الشكل (2) مخطط يوضّح المحور المدروس من باب قنسرين إلى الجلوم الكبرى، (المعالم الأثرية والتاريخية بمدينة حلب، د. شوقي شعث، دار القلم، حلب، 1998).

ت- إن ضعف القاعدة الاقتصادية في المنطقة المدروسة كان الدافع وراء تمويل الحكومة السورية للقروض بجانبها الأكبر وبمشاركة الجانب الألماني GTZ، فضلاً عن اعتماد سياسة اقتصادية عمرانية وإدارة للاعتمادات المالية توزعت على الشكل الآتي:

- ✓ الاعتمادات المالية السكنية لمساعدة السكان ذوي الدخل المحدود على ترميم منازلهم التقليدية.
- ✓ الاعتمادات للمشاريع الصغيرة والمتوسطة لتساعد على تحسين منتجاتها، وتطوير أدائها البيئي في الوقت عينه.

- ✓ الاعتمادات المالية السكنية الطارئة.
- ✓ القروض طويلة الأمد.



الشكل (4) توظيف المدرسة الأُسدية الأثرية كمستوصف ومركز لرعاية الأمومة (أرشيف الباحث).

ث- تجسد الحل الأمثل لمعالجة تدهور مستويات البيئة العمرانية في المنطقة المدروسة بتقديم الإصلاحات الطارئة لمنازل ذوي الدخل المحدود والمهددة بالانهيار، بتخصيص اعتمادات من صندوق الطوارئ لمالكي البيوت الخاصة (الشكل 5). هذا فضلاً عن تقديم إعانات مالية لتدعيم ملكيات القطاع العام وترميمها كالأوقاف، والآثار والسياحة (الشكل 6)، وإنجاز دراسات ترميمية وتوثيقية لأبنية تاريخية تملكها مؤسسات حكومية.

ج- بهدف معالجة التوظيف المغلوط فيه للمنازل التاريخية تم إيجاد بدائل للورش الصناعية خارج حدود المنطقة

ح- انعدام الترابط الفراغي والوظيفي بين الأحياء القديمة والمناطق الحديثة وعناصر الحركة والمحددات الطبيعية فضلاً عن قلة المناطق المفتوحة.

خ- الإشكاليات المرورية [4]: تسبب حركة المرور غير المنتظمة تلوث الهواء والضجيج، فضلاً عن الضرر الفيزيائي على الأبنية التاريخية

زيادة الكثافة المرورية، وصعوبة حركة المشاة في الأزقة إذ تُعيق حركتهم سيارات الخدمة، إذ تُتم حركة نقل البضائع بواسطة الدواب وشاحنات النقل الصغيرة.

2- الحلول المنفذة:

تجسدت الحلول المنفذة في وجه الإشكاليات المذكورة أعلاه باتباع مزيج من الإجراءات المتكيفة مع تعقد البنية العمرانية والاجتماعية:

أ- تمثل الحل لنقص الوثائق والدراسات بإجراء العديد من المسوحات العمرانية والاجتماعية الكمية والنوعية، مع مخططات شاملة وتقارير عن الأوضاع الإنشائية والمعمارية.

ب- تمثل الحل لمعالجة ضعف السوية العلمية بتحسين نظرة سكان المدينة القديمة إلى مدينتهم من خلال تنظيم الفعاليات الثقافية وتنسيقها في المدة الممتدة من سنة 1997-2011.

تم تلافي النقص في الخدمات الصحية ورعاية الأمومة والطفولة ومراكز الخدمات الاجتماعية والتدريب المهني، بإعادة توظيف المدرسة الأُسدية الأثرية (التي يعود تاريخ إنشائها لسنة 564هـ/1168م) كنقطة صحية لتقديم خدمات الإسعاف (الشكل 4)، ومركز لتنظيم الأسرة وروضة أطفال، كما تقام فيها دروس لمحو الأمية. فضلاً عن إنشاء مراكز تدريب مهني وفني، بالتعاون مع المديرية القطاعية في مدرسة الشيباني منذ العام 2004 حتى 2012.

للتخفيف من الآثار الجانبية وتخفيض تلوث الهواء [5] دون إهمال حركة الترخيم الحيوية للأسواق.

د- لحل إشكالية صعوبة حركة الآليات والمشاة معاً في الأزقة الضيقة (لاستحالة تغيير بنية النسيج العمراني في المنطقة المدروسة) اتخذت إجراءات لتخفيض الضغط المروري من خلال خلق مسارات جديدة وتحسين خدمات النقل العام ومنح أفضلية المرور للسكان والتجار والزبائن. كما تم تأمين مواقف انتظار للسيارات على مسافة لا تزيد على 300م عن أي منطقة في المدينة القديمة، إذ لم تتوفر إمكانية لتخديم العديد من النقاط بسبب ضيق الأزقة [6].

إن الدراسات المعمقة التي أجريت على الحركة المرورية أوجدت حلولاً منطقية، لكن تجدر الإشارة إلى عدم التزام الفعاليات المحلية بالأنظمة والقوانين والحلول المقترحة، فبقيت المنطقة تعاني من إعاقة حركة المشاة ومن واقع مروري مريب (الشكل 7).



الشكل (7) الحركة المرورية في أزقة المشروع الرائد (Directorate of the Old City and GTZ, 2004)

3- تأثير الصراع (2012-2016) في مدينة حلب في

المحور المدروس

نتيجة الأزمة السورية استولت الجماعات المسلحة على مدينة حلب القديمة بتاريخ 2012/7/23م. بعيداً عن الحديث عن الخسائر البشرية والضحايا الذين سقطوا على تراب حلب القديمة وأعداد الجرحى، أدى تمترس المسلحين في الأحياء القديمة إلى أعمال هدم وتخريب وبنسب متفاوتة، وحتى الساعة لا توجد إحصائيات دقيقة لمدى الضرر والدمار الذي لحق بالبنية التاريخية الأثرية، إلا أن

المدروسة، وتغيير موضع الصناعات الثانوية الملوثة، أو وضع معايير وضوابط لها.



الشكل (5) نماذج ترميم لمنازل تقليدية.



الشكل (6) مسجد الطرسوسي 2012، بعد الترميم (أرشيف الباحث).

ح- بعد إنجاز كثير من الدراسات والجدوى الاقتصادية، تم تخطيط شبكة أنابيب جديدة لمياه الشرب وتنفيذها وشبكات الصرف الصحي، وتطبيق تقنيات بناء متطورة ومعايير للأمان وإحداث نظام للصيانة، وتجديد بلاط الأزقة، فضلاً عن تمديد شبكات الهاتف تحت الأرض.

خ- إن انعدام الترابط الفراغي والوظيفي فرض تعديل نظام ضابطة البناء في المدينة القديمة، وتنفيذ برنامج لزيادة المساحات الخضراء فضلاً عن طرح تصميم عمراني لنقاط التقاء الشوارع لتنظيم الفراغات العمرانية من تجهيزات معمارية ومساحات خضراء وشبكات إنارة.

د- تطلب تنوع الإشكالات المرورية إدارة حركة المرور من خلال تصميم مخططات مرورية شاملة وتنفيذها



الشكل (9) مآل المخطوطات المحفوظة في مدرسة الشيباني عام 2013م.

على سبيل المثال تُعدّ مدرسة الشيباني [7] نموذجاً ناجحاً عن إحياء المباني الأثرية وتأهيلها في قسبة قنسرين- حلب القديمة، إذ كانت تُستخدم قبل التأهيل كمخزن للتبغ، وكانت حجارته مفككة، ثمّ استخدمت مركزاً للنشاطات الثقافية في المدينة القديمة، تشغله عدة فعاليات دائمة: المعرض الدائم لمشروع إحياء المدينة القديمة، ومكتب الوكالة الألمانية للتعاون الفني، معهد غوته الألماني، فضلاً عن إقامة فعاليات ثقافية ومعارض (الشكل 10).



أ: معرض في مدرسة الشيباني سنة 2008.



ب: مدرسة الشيباني، قبل الترميم وبعده.

الشكل (10)

المنطقة المدروسة، بحسب المعلومات المتوافرة من دائرة حماية حلب القديمة، قد خلت، منذ أكثر من عامين من وجود غالبية سكانها الأصليين القاطنين لها، وذلك لتحويلها لخطوط تماس ومناطق اشتباك بين الجماعات المسلحة والجيش العربي السوري.

إنّ الصور التي نعرضها تثبت الواقع الذي آلت إليه حال المنطقة كنموذجٍ عن حال المدن التاريخية السورية التي تنوّعت تحت وطأة النزاع المسلح الدائر في أرجائها: كالبيمارستان الأرغوني (مؤرخ لسنة 755هـ/1354م) الذي تمّ توظيفه عام 2007م كمتحف للطب والعلوم وكانت تجري فيه أعمال الترميم، منذ عام 2013 استخدم كمحكمة شرعية من قبل الجماعات المسلحة، تأذت جدرانها من جراء استخدامها كمباريس عسكرية (الشكل 8).



الشكل (8) آثار الدمار في البيمارستان الأرغوني الأثري.

في أثناء النزاع المسلح داخل حدود المدينة القديمة في حلب، سعى بعض متصيدي التحف والعاديات الطامعين في الكسب غير المشروع إلى هدم الأبنية التاريخية والاستيلاء على عناصرها الزخرفية وأعمدتها وتيجانها أو مفردات التراث المنقول بقصد بيعها لتجار التحف في أسواق العالم ولهواة اقتناء العاديات. على سبيل المثال، تمّ الاستيلاء الموجودات والتحف والمخطوطات التي كانت تُعرض في مدرسة الشيباني الأثرية (الشكل 9).



الشكل (14) الأضرار في المدرسة الأسيديّة في حلب التاريخية، (مديرية الآثار السورية).

4- أبرز نتائج المشروع التي تجب الاستفادة منها في مرحلة إعادة الإعمار لاحقاً:

كثير من العمل قد أُنجز لتحقيق ما تمّ إنجازه في المشروع الرائد، اذ وجب على الإدارة العمرانية تأمين الشروط المناسبة للسكان والأعمال التجارية للاستثمار في المدينة القديمة بهدف تحسين آلية تطوير الاستدامة الذاتية (Aleppo, Rehabilitation of old city) (2005), GTZ)، من خلال:

- تنمية القدرات الإدارية في المشروع من أجل تنظيم عملية الإحياء.
- تدريب فريق من المديرين المحليين العمرانيين المؤهلين وتحضيرهم لقيادة المشاريع الرائدة في بقية أرجاء المدينة القديمة.
- دعم القدرات المحلية في مجال التخطيط العمراني والإدارة وترميم البنية الفيزيائية وتنشيط الموارد المالية العامة والخاصة.

كثير من الأبنية التاريخية الأثرية في منطقة باب قنسرين ذات الأسلوب المعماري التقليدي قد تأذت (الأشكال 11، 12، 13، 14)، إلا أنّ المباني الدينية ولقدسيّتها حافظت على بنائها ووظيفتها كجامع الكريمة ومسجد الطرسوسي.



الشكل (11) الأضرار في حوش في قسبة قنسرين، أرشيف الباحث.



الشكل (12) دمار في أحد أزقة باب قنسرين، أرشيف الباحث.



الشكل (13) أحد الأزقة بعد ترحيل الأنقاض [أرشيف الباحث].

2-1 الأسس والفعاليات

إن إدارة المنظومة المقترحة تستند إلى عدد من الأسس والفعاليات التي تساعد على إنجاز هذه الخطة والتي يمكن إيجازها بما يأتي:

تكوين هيكل مؤسساتي مؤهل لإدارة النشاطات والأعمال تتمثل مهمته الأساسية بإعداد خطة العمل لإعادة البناء والحفاظ عليه. ويكون مسؤولاً عن:

- تنفيذ خطة العمل المقترحة اعتماداً على تدريب الأطر الفنية وتأهيلها، وإيجاد البعد التشريعي والقانوني لتنفيذ الأعمال.
- إيجاد التمويل لخطة العمل: من خلال البحث عن مصادر التمويل المحلية والدولية، ووضع برامج زمنية لهذا التمويل.
- الارتقاء والتنمية الاجتماعية من خلال التوعية والإعلام، والمشاركات السكانية، ودور المنظمات والهيئات الأهلية.

السؤال الذي يفرض نفسه الآن وقبل البدء بعملية الترميم وإعادة البناء والتأهيل للمباني الأثرية: من هي الجهة الإدارية المسؤولة عن الدراسات والإشراف والتنفيذ ومن ثم المتابعة، والتي يقع على عاتقها وضع الاستراتيجيات، والتي ستقدم إجابة عن التساؤل الآتي: لماذا ولمن وكيف أعيد بناء هذه البيئة العمرانية والأبنية المعمارية وأرممها وأوظفها؟

إن المقترح الأساسي يتجسد بتأسيس مديرية لإعادة إعمار المدن السورية القديمة تتبع مباشرة لهيئة عليا مقترحة تكون مسؤولة عن إعادة الإعمار في سورية، يتفرع عن هذه المديرية دائرة تختص بتأهيل مدينة حلب القديمة- قسبة قنسرين.

تتضمن الدائرة الأقسام الآتية: قسم إدارة معلومات- وقسم الدراسات التخطيطية - وقسم البنية التحتية- وقسم

ثانياً: أسس إعادة الإعمار المقترحة في المشروع الرائد (محور باب قنسرين):

بناءً على ما سبق عرضه، ونتيجة لغياب خطط التنفيذ وآلياته وبرامجه الخاصة بإعادة الإعمار والتأهيل في المناطق التاريخية المتضررة، ارتأينا ضرورة اقتراح استراتيجية شاملة تعتمد خطة لإعادة تأهيل التراث حسب الأولويات.

من حيث المبدأ يجب التركيز على العمل على مرحلتين متكاملتين، مرحلة في أثناء الأزمة، وتكون عملية إنقاذية إسعافية تهدف الى التخفيف من الأضرار داخل حدود المدينة القديمة، ومن ثم هناك مرحلة إعادة إعمار شاملة عندما تضع الحرب الدائرة على الأراضي السورية أوزارها.

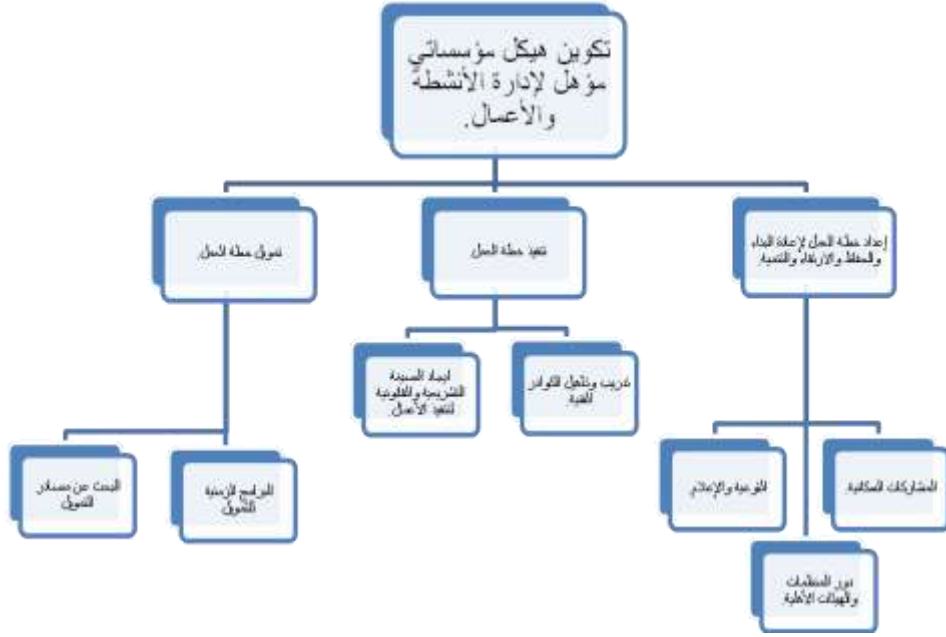
يشمل مفهوم الحفاظ على التراث عموماً الأساليب كلها التي تُتخذ لصيانة ومنع تلف أو ضياع جزء أو كل عناصر المبنى التاريخي ويؤثر في المجموع العمراني، سواء من الناحية التاريخية أو الفنية أو الأثرية، تحت مظلة هذا المفهوم توجد مستويات ودرجات تُشكّل منظومة متكاملة بأساليب التعامل والمعالجة للمباني ذات القيمة التاريخية في قسبة قنسرين (الشكل 15)، انطلاقاً من التوثيق، الحماية، إجراء الإصلاحات والترميم، الحفاظ على الجملة الإنشائية، إعادة التوظيف والتأهيل وتنتهي بإعادة البناء والإعمار.



الشكل (15) الخارطة التفاعلية للمواقع الأثرية المتضررة في مدينة حلب التاريخية، (الموقع الرسمي للمديرية العامة للآثار والمتاحف السورية).

موقع أو مبنى تاريخي. بناءً عليه يجب إعطاء الصلاحيات اللازمة والضرورية كلاً للجهاز المشرف، مما يقلل من تضارب المواقف ويساعد على سرعة اتخاذ القرار وتحديد الإجراءات الواجب اتباعها على المستوى القانوني والإداري والمالي.

مناطق العمل- قسم تنظيم التمويل- وقسم المشاركة: أي خلق نظام مؤسسي ذاتي استقلالية، قادر على إدارة الأعمال البلدية اليومية كلاًها. تضم الدائرة ممثلين عن الجهات المختصة كالآثار والأوقاف والبلديات والسياحة منعاً من تعدد الإشراف وتعارض الاختصاصات على أي



رسم توضيحي (1) الهيكلية المقترحة.

ومخططات معمارية، وإعداد خرائط جوية للوضع الراهن وإجراء المقارنة مع الخرائط القديمة التي تمتلكها الجهات الرسمية والأهلية. لما يمكن أن توفره هذه الوثائق من معلومات يُعتمد عليها في إعادة البناء والتأهيل.

- البدء بعملية تحديد الأضرار وتقييمها اعتماداً على المعطيات المتاحة، على أن تتم لاحقاً عملية تقييم الأضرار على أرض الواقع للوصول إلى تقييم حقيقي وواقعي لمدى الدمار والخراب الذي لحق بالبنية العمرانية والمعمارية للمنطقة المدروسة.

2-2 إعداد خطة العمل لإعادة البناء والحفاظ تحدد مهمة الدائرة المقترحة على مرحلتين:

2-2- أ قبل انتهاء الأزمة

تجدر الإشارة إلى ضرورة تبني سياسة متكاملة لعملية التأهيل من حيث أسلوب العمل ومنهجيته يشمل مبدأ القمة للقاعدة، وبالعكس.

- أرشفة المخططات والوثائق والصور والخرائط رقمياً، وجمع مادة توثيقية عن الأبنية التاريخية والنسيج العمراني في منطقة باب قنسرين، قبل الأزمة وخلالها، تتضمن دراسة تاريخية وهندسية، وصوراً فوتوغرافية،

المواقع التراثية، هذا فضلاً عن قلة الخبرات الفنية على مستوى الأفراد والإدارات التي بإمكانها التصدي لهذا الحجم من العمل الترميمي الإنشائي؛ من ثم فإن تدريب المهندسين على اختلاف اختصاصاتهم من معماريين وإنشائيين هو ضرورة ملحة في المرحلة الحالية، لذلك عمدت نقابة المهندسين السوريين - لجنة التراث الهندسي كخطوة أولى إلى تأهيل أطر مختصة من خلال منح مراتب هندسية (ممارس، استشاري) باختصاص ترميم المباني التاريخية وتأهيلها.

- من خلال الوقائع التي جرت على امتداد سنوات الأزمة السورية تبين عدم وجود الخبرة والمعرفة الكافية للعاملين في مجال التراث في مواجهة الكوارث، لذلك من الضروري الافادة من إحدى أبرز نتائج المشروع الرائد، وهي تدريب فريق من المديرين المحليين العمرانيين المؤهلين، وتحضيرهم لقيادة المشاريع الرائدة في عملية إعادة إعمار المناطق التاريخية.
- إعداد نظام ضابطة يحقق العدالة الاجتماعية والسكنية للقاطنين، وبما يضمن الصفة التراثية للبناء والنسيج العمراني للمنطقة.

2-2- ب الخطوات المقترحة اتباعها عند انتهاء النزاع المسلح في المدينة القديمة (الحلول الإسعافية):

1. قبل البدء بأي عمل ميداني، يجب العمل على نزع الألغام من قبل فريق هندسي مختص، وإزالة القذائف غير المتفجرة من تحت الركام لما تشكله من خطر على العاملين.
2. إجراء مسح أثري ميداني لتحديد مدى الضرر، وعمل مخططات أولية لها وتوثيقها وتصويرها.

- التعاون مع الجامعات بمختلف فروعها الهندسية لإعداد مخططات ودراسات يمكن أن تسهم في التخفيف من حجم العمل المستقبلي وكلفته.
- دراسة الجدوى الاقتصادية لعملية استخدام الألقاض الأثرية وتدويرها، حرصاً على عدم تزوير التاريخ والحفاظ على المفردات المعمارية والإنشائية التقليدية، كما أنّ هذه العملية تُسهم في حماية البيئة من آثار المخلفات، وتوفر من مساحة المكبات اللازمة للتخلص منها، وخفض قيمة نفقات التأهيل.
- المحافظة على العناصر المنقولة كالتماثيل والحلى والأفاريز وغيرها بحسب الإمكانيات المتاحة.
- من خلال العمل في المشروع الرائد بان جلياً النقص في الأطر الفنية العاملة المختصة والمتقنة لعملية ترميم العناصر التقليدية وصيانتها وإنشائها، لذلك يجب البدء بتشكيل أرشيف يتضمن أسماء الحرفيين ومعلمي المهن بالعمارة القديمة، وأسماء المتعهدين ليتم التعاون معهم لاحقاً؛ فضلاً عن توجيه النظر إلى إنشاء مدارس حرفية للتدريب في مجال الحرف التقليدية.
- السعي للبحث عن مصادر المواد الإنشائية المستخدمة في المنطقة من حجارة وأخشاب ... وغيرها.
- الاستفادة من التجارب العالمية في عملية إعادة إعمار المدن التاريخية كذلك التي تمت في المدن الأوروبية والاتحاد السوفييتي السابق، وذلك من خلال نقد السلبيات والإضاءة على الإيجابيات. مع اعتماد الدراسات التحليلية المقارنة كمنهج نطبقه في سورية من شأنه أن يرفع من كفاءة تعاملنا مع مبانينا ومدننا التقليدية مع الأخذ بالحسبان خصوصية الطابع المحلي.
- من خلال بعض الاستطلاعات تبين عدم توفر التخصص في الترميم المعماري والإنشائي وفي إدارة

3. إزالة الركام والردميات، وتنظيف الموقع، وترحيل الأحجار (غير القابلة لإعادة الاستخدام) لإضفاء نوع من الإحساس بالأمان ونظافة المكان.
 4. تأمين الثبات الإنشائي للأبنية التاريخية في منطقة المشروع الرائد، وتشكيل لجنة سلامة إنشائية والطلب الى الاختصاصيين من خبراء ومهندسين ومعماريين وضع تقييم ودراسة مفصلة عن استقرار جملتها الحاملة من أساسات وعقود وأعمدة، تعتمد أساساً على تحليل الخطر وانعكاساته المستقبلية لوضع الخطط الإسعافية، فضلاً عن تأمين حمايتها من النهب والسرقة.
 5. ترميم المباني التاريخية، بشكل يتوافق مع المعايير والشروط الدولية. مع العلم بأن تأخر تنفيذ الترميم للأبنية المتضررة يُسيء للجمل الإنشائية للأبنية المجاورة لها وغير المتضررة بفعل الاعتداءات.
 6. دراسة الأفضلية بإعادة البناء للأبنية الأثرية والأبنية العادية القديمة حسب النسيج المعماري، مع دراسة مراحل تنفيذ الأعمال بحيث لا تتعارض أو تتقاطع مع بعضها.
- 2-2-ج بعد انتهاء الأزمة**
- وضع برنامجٍ للعمل ورفع وضعٍ راهنٍ دقيقٍ قبل البدء بأعمال الإصلاح والترميم في المدينة القديمة حتى يتمكن من تحديد حجم العمل المترتب وتقديره، وتوفير مستلزماته.
 - اعتماداً على ما تمّ توثيقه من أضرار فإنّ عدد المتقدمين بطلبات ترميم وإعادة بناء وتأهيل في مدينة حلب القديمة سيكون كبيراً جداً، ممّا يترتب عليه ضرورة توفير اطار مؤسساتي كافٍ تابع لدائرة حلب القديمة، تحدد مهمته باستقبال هذه الطلبات وفرزها وترتيب أولوياتها.
- التعاون مع الجهات العلمية في عملية فرز الأنقاض وإعادة تدويرها، واستخدام بعضها، وفق تجارب مخبرية ودراسات إنشائية خاصة، بما يحقق الفائدة العامة، ويحافظ على أسلوب البناء المميز في المنطقة.
 - وضع خطة زمنية محددة لإعادة الإعمار في كل شريحة حسب الأولويات السكنية والخدمية والإنشائية، مع ضرورة الالتزام بالمدّة، وذلك بالتعاون مع مخططي المدن ونقابة المهندسين ودوائر الآثار.
 - الاستفادة من تجربة المشروع الرائد، إذ لوحظ سوء توزيع الفعاليات الاقتصادية ضمنه قبل الأزمة، ممّا يتطلب التعاون مع غرفة التجارة والصناعة والسياحة ومجلس المدينة لتحديد الأعمال التجارية والحرفية الصناعية والسياحية المسموح بإقامتها ضمن المحال التجارية التي لا تؤذي البيئة والنسيج العمراني والثقافي في المنطقة.
 - يجب تعميم السياسة الاقتصادية العمرانية الناجحة والإدارة المالية التي تمّ اعتمادها في أثناء تنفيذ المشروع الرائد بخصوص الاعتمادات المالية السكنية، ودعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، والقروض طويلة الأمد.
 - مع انتهاء الأحداث نلحظ وجود الحاجة الملحة لتشغيل اليد العاملة العاطلة عن العمل في أثناء الأزمة، بهدف التشغيل ودعم الاقتصاد المحلي ليتم العمل بأيدٍ وأطر وطنيةٍ سورية.
 - عدم ملاءمة القوانين والأنظمة النافذة مع متطلبات المرحلة القادمة للإعمار، لذلك يجب تشكيل هيئة لاقتراح التشريعات وسن القوانين التي تنشأ الضرورة لتشريعها نتيجة العمل المباشر وتمتاز بخصوصيتها وبالمرونة لمعالجة كل حالة على حدة.

- تحديد أسس العمل لبعض المباني القديمة وأسلوب التسقيف ومواد البناء وطبيعة المواد المسموح بها إنشائياً ومعمارياً حسب المواثيق الدولية، فعلى سبيل المثال، يجب استخدام المواد المحلية والتقنيات التقليدية. ممّا يمنح عملية إعادة البناء والترميم مصداقية أكبر في إعادة الصرح المعماري إلى حلته القديمة، وعدم استخدام التقنيات الحديثة والمواد المتطورة، إلاّ إذا كان استخدامها لا يؤثر في المبنى التاريخي، أو يُسيء إليه، أو يؤدي إلى تزوير معطيات تاريخية، وذلك بحسب المادة الخامسة من ميثاق البندقية (بحسب تصريح امستردام عام 1975م المتضمن تأكيد ضرورة توفر مواد البناء التقليدية، واستمرار استخدام التقنيات نفسها، والحرف التقليدية، وصيانة التراث العمراني يجب أن لا تكون هامشية، وإنمّا متداخلة مع التخطيط المحلي والوطني).
 - ضرورة تطبيق ميثاق ايبيلتون من حيث تحديث أنظمة العزل والسيطرة البيئية والنظم الخدمية الأخرى بطرائقٍ تحترمُ التوازن التقليدي في مرحلة لاحقة، أي أن يتم أخذ مفهوم الاستدامة والتنمية العمرانية بالحسبان.
- 2-2-د البعد التشريعي القانوني:**
- يتضمن دراسة المشكلات العقارية والقضائية وحفظ الحقوق للعقارات، بناءً على الإجراءات المقترحة الآتية:
- ✓ الإفادة من الظرف الراهن، والعمل على إزالة المخالفات والأبنية غير المحققة للمواصفات، ونظام الضابطة الخاص بالمدينة القديمة. أخذين بالحسبان، عند دراسة هذه المخالفات، منطقة التواجد التأثيرية (النسبة- المساقط- الواجهات)، ومراعاة شكل الفراغ وتركيبه بحيث لا تؤثر الوحدات المضافة في الخصائص البصرية للفراغات المختلفة داخل المبنى الأثري.
 - ✓ منع ترميم وإصلاح أي مبني غير تراثي أو أثري، أو مخالف ضمن حدود المدينة التاريخية.
 - ✓ منع عودة قاطني المباني المخالفة كخطوة أولى لإزالتها، مع إيجاد سكن بديل مؤقت لهم.
 - ✓ تحديد العقارات المهجورة سابقاً والعائدة ملكيتها لغير السوريين (خلال مرحلة الحكم العثماني والفرنسي) لاستملاكها وتسوية أوضاعها من قبل المؤسسات الرسمية.
 - ✓ بالتعاون مع وزارة العدل تشكّل لجنة قضائية مصغرة مهمتها دراسة تداخل العقارات، ومتابعة المشكلات لحالات تعدد الورثة البعيدة، وإعطاء الحل العقاري والمالي حفاظاً على سرعة إنهاء الأعمال في المدينة القديمة، وعدم ترك مشكلات عقارية عالقة.
 - ✓ قسّم المنازل التقليدية بين العائلات والورثة، أو بيعت كوحداتٍ أصغر، كما أضيفت طوابق جديدة غير مرخصة وغير مدروسة، فضلاً عن تغطية الأبنية المفتوحة، وإزالة بعض العناصر المعمارية كالشرفات... مما نتج عنه عدم وجود وثائق لملكيات العقارات، ممّا يستلزم وجود قاضٍ عقاري متخصص في فض هذا النوع من القضايا (إعادة الفرز المساحي للعقارات).
 - ✓ تأمين انتفاع المجتمع المحلي بتراثه الثقافي بدراسة إمكانية استملاك الدولة للمباني ذات القيمة الاثرية العالية، ودفع قيمتها للمالكين وفق السعر بالسوق المحلية مع إعفائهم من ضريبة العقارات، مع العلم بأنّ هذا المقترح قد استبعد في العديد من المناطق التاريخية على مستوى العالم، لكنّه يبقى أحد الخيارات المتاحة.

خاتمة:

إنّ إعادة الإعمار تعني بالدرجة الأولى الحؤول دون خسارة النسيج الاجتماعي والمعماري والعمراني للمدينة التاريخية السورية. إنّ السكان الذين يُقيمون ويعملون في المدينة القديمة هم الفئة المستهدفة الأساسية للمشروع، لذلك يجب الحفاظ على بيئتهم المعيشية وتحسينها، ولا يُمكن تنفيذ عملية الإحياء بشكل ناجح إلا بدعمهم والتزامهم. بالنتيجة يجب إشراك المجتمع والقاطنين في المنطقة بإعادة البناء من يد عاملة خبيرة ومدربة، أو يد عاملة مساعدة، أو حسب الإمكانيات، وتحديد ساعات للعمل التطوعي، وزيادة تفعيل دور المرأة والشبيبة في هذا المجال.

في الختام، كانت انعكاسات الأزمة التي عانت منها بلدنا سورية شديدة القسوة على إرثها الحضاري، مما يَضَعُنا أمام استحقاقاتٍ عدّة من أبرزها زيادة التوعية الشعبية بأهمية التراث الثقافي، وضرورة مشاركة المواطن باتخاذ القرار لِيُدرِكَ بأنّ هذا التراث ملكٌ له ولأبنائه، وهذا يتطلب إعادة النظر في آلية تعامل الجهات المختصة مع المواطنين وقضايا ممتلكاتهم الثقافية، فضلاً عن استخدام أسلوب خطابٍ وسياسةٍ إعلاميةٍ مختلفةٍ. إذ لا بدّ من أن نكون مصممين على الحفاظ على تراثنا الحضاري الثقافي السوري الذي يعود لآلاف السنين، والذي يُعدّ جزءاً من التراث الثقافي للبشرية جمعاء.

تجدد الإشارة إلى أنّ الإعمار في مراحل الاستقرار والأمن أمرٌ صعبٌ ومتعدد الجوانب، فما هو الحال في حالة الدمار التي مرت بها سورية.

REFERENCES المراجع

- مخطط الارتقاء لمدينة حلب القديمة (2000)، إصدار مديرية حلب القديمة.
- مشروع إحياء حلب القديمة، مديرية حلب القديمة، GTZ، (1994)، صندوق قروض السكن.
- Chibli, Maan (2000), Air Quality in the city of Aleppo in 1999, Alep.
- NEGLIA, Giulia (2006), Bab Qinnasrin in Aleppo, Structure of the urban fabric, Aleppo.
- Directorate of the Old City (2003), Rehabilitation of old city Aleppo, traffic and transportation, Syria.
- Directorate of the Old City and GTZ (2004), Rehabilitation of old city Aleppo.
- PLANCO CONSULTING GMBH, Overall traffic concept old city of Aleppo time to decide, ESSEN, GERMANY, 2002.

المراجع الإلكترونية

<http://www.udp-syria.org/?id=1&lang=ar>

صفحة مشروع إحياء حلب القديمة.

<http://www.udp-aleppo.org>

موقع أدوات عمل التعاون بين مدينة حلب والوكالة الألمانية للتعاون التقني GTZ

<http://www.dgam.gov.sy/damages/province.php?id=3>

الخارطة التفاعلية للمواقع الأثرية المتضررة، المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية.

الهوامش والحواشي

- [1] حريتانى، الأسس التخطيطية، 2000، ص17؛ تقرير مديرية حماية المدينة القديمة في حلب، "خلاصة دراسة المشروع الرائد"، 2004، ص.I.
- [2] The Rehabilitation of the Old City of Aleppo, Urban Development in a World Cultural Heritage Site, Directorate of the Old City and GTZ, (2004) , p. 8-10.
- [3] Directorate of the Old City, Rehabilitation of Old City Aleppo, 2004,p.13-20.
- [4] PLANCO CONSULTING GMBH, Overall traffic concept old city of Aleppo time to decide, ESSEN, GERMANY, 2002, p. 25-28.
- [5] Chibli, Maan, Air Quality in the city of Aleppo in 1999, Alep, p.4-9; PLANCO CONSULTING GMBH, Overall traffic concept old city of Aleppo time to decide, ESSEN, GERMANY, 2003,p.49-52.
- [6] PLANCO CONSULTING GMBH, Overall traffic concept old city of Aleppo time to decide, ESSEN, GERMANY, 2002, p.52.
- [7] الجاسر، لمياء، مدارس حلب الأثرية تاريخها وعمارتها، 2000، ص. 509.
- The Rehabilitation Of Shibani Building, Kamal Bitar,Gtz, Alep, 2006.P. 5-6; Minutes Of Meeting, "Shibani School Use Concept" In The Office Of «Rehabilitation Project Of The Old City Of Aleppo», P. 22-23.

Received	2017/03/05	إيداع البحث
Accepted for Publ.	2017/07/20	قبول البحث للنشر